محاضرة رقم ١٤	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	علوم القرآن والتربية الإسلامية
المادة باللغة العربية	علم التفسير
المادة باللغة الانجليزية	Science of interpretation of the Qur’an
المرحلة	الثانية
السنة الدراسية	٢٠٢٢ -٢٠٢٣
الفصل الدراسي	الأول
المحاضرة	الرابعة عشر
العنوان باللغة العربية	أنواع الاختلاف
العنوان باللغة الانجليزية	Types of difference
المصادر والمراجع	المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات، أحمد سعد الخطيب
	اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه، أحمد محمد الشرقاوي
	التفسير والمفسرون، الذهبي

المحاضرة : الرابعة عشر

أنواع الاختلاف

: الاختلاف في التفسير: نوعان : اختلاف تنوع وهو الاختلاف المحمود ، واختلاف تضاد وهو المذموم

وفيما يلي بيان ذلك :

أولا: الاختلاف المذموم

وقد جاء تعريفه في الإتقان بأنه ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر.

فهو اختلاف التضاد لأنه فيما لا مجال فيه للاختلاف وذلك كاختلاف الفرق الضالة المنحرفة عن أهل السنة والجماعة حيث فسروا القرآن بما يتوافق مع أهوائهم ومعتقداتهم الفاسدة ، مخالفين بذلك ما ورد في تفاسير أهل السنة والجماعة ، وهنا لا بد من الترجيح بين الآراء لبيان الحق .

من ذلك ما هو شائع في تفاسير الفرق المنحرفة .

أولاً: ومنه أن يعتقد المفسر رأيا مخالفا لرأي أهل السنة والجماعة ، فيفسر القرآن الكريم وفقا لهذا الرأي ويصرف اللفظ عن مراده : من ذلك تفسير بعض المعتزلة لقوله تعالى { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} حيث يري المعتزلة استحالة الرؤية في الآخرة ، وبناء علي رأيهم الباطل فإنهم يؤولون الآيات بتعسف وتكلف ، وينكرون الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تخالف أهواءهم؛ ففسر بعضهم (إلى) بمعنى (نِعَم) جمع نعمة، حتى يصرفون اللفظ عن معناه الظاهر الذي يفيد تنعم المؤمنين برؤية رب العالمين في الآخرة، ، فأول بعضهم المعنى تأويلا غريبا فقالوا { إلى ربها ناظرة }أي مترقبة ومنتظرة ، كما تقول أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي.

ثانياً: أيضا من أسبابه اعتماد بعض المفسرين علي الموضوعات والإسرائيليات التي تخالف العقل والنقل واعتبارها أصلا في التفسير مما يتناقض مع الصحيح الوارد في تفسير الآيات.

ثالثاً: ومنه أيضا اعتماد بعضهم علي مجرد معرفته باللغة والمسارعة إلي تفسير القرآن بظاهر العربية دون الرجوع إلي أصول التفسير وأدواته مما يؤدي إلي كثرة الغلط.

وذلك كمن فسر قوله تعالى { وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها }، بأن المراد به أن الناقة كانت مبصرة والصحيح في تفسير الآية : " وآتينا ثمود الناقة " آية مبصرة أي حجة باهرة ومعجزة ظاهرة بدليل السياق قال تعالى { وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا } [سورة الإسراء:٥٩].

رابعاً: ومنها ترك بعضهم للمعنى الظاهر وتعويلهم علي معانٍ لا أصل لها وليس لها أدنى صلة بالآيات كما فعل ابن عربي في تفسيره لقوله تعالى [وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا] [سورة المزمل: ٨]، قال "واذكر اسم ربك الذي هو أنت أي اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله " وفي هذا القول من الضلال والزيغ ما لا يخفي.

خامساً: وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به فيحمل النص ما لا يحتمل ويتعسف ويتكلف في ذلك .

مثاله : من يرمز إلى القلب القاسي بفرعون ، فيقول قال الله تعالى في سورة النازعات [اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى{٢٤}] ويشير إلي قلبه ويوميء إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الحسنة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وإثارة له وهو ممنوع لمخالفته لظواهر النصوص ومقاصدها.

سادساً: ومن أسباب الخلاف أيضا أن يكون اللفظ دالا على أكثر من معنى في الحقيقة فهو مشترك لفظي ، فيصرفه المفسر عن المعنى الذي يدل عليه السياق إلى معنى آخر لا يتناسب مع السياق : وذلك كتفسير الكتاب في قوله تعالى { مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَي رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ {٣٨} } سورة الأنعام علي أنه القرآن الكريم علما بأن السياق في اللوح المحفوظ { وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَي رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ {٣٨} } سورة الأنعام .

و بدليل قوله تعالى في نفس السورة [وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ {٥٩}] .

ثامناً: ومن أسباب الخلاف أيضا : الخطأ في معرفة اشتقاق الكلمة : وذلك كتفسير بعضهم لقوله تعالى [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً] [الإسراء: ٧١] قالوا ينادي على كل إنسان باسم أمه، والصواب أنه الإمام وليس الأم .

قال الزمخشري في تفسيره : "بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين ... ومن بدع التفاسير : أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم مراعاة لحق عيسى عليه السلام وليت شعري أيهما أبدع ؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته ؟ " .

تاسعاً: أيضا من أسباب الخلاف : ترك المعنى الظاهر إلى معنى آخر لا علاقة له بالآية من قريب أو من بعيد ، وليس له أصل صحيح في لغة العرب.

ثانياً: الاختلاف المحمود

أما الاختلاف المحمود : فهو اختلاف التنوع أو التلازم وهو كما عرفه السيوطي في الإتقان: هو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة ...وهذا النوع من الاختلاف مفيد في فهم المعنى وفيه إثراء له.

وله أسباب عديدة : نذكرها ونورد أمثلة عليها ونبين الضوابط والقواعد التي نتعامل بها .

أولاً اختلاف التعبير: كأن يعبر كل مفسر عن المعنى الواحد بعبارات شتى تدور كلها حول هذا المعنى ، أو تكتمل بها صورته ويستقر المعنى في الأذهان ، أو أن يفسر بعضهم اللفظ بمعان متنوعة لكنها تدور في محور واحد وبعض المفسرين قد يفسر المعنى بمثال عليه أو بلازمه.

مثال ذلك تفسيرهم لقوله تعالى في سورة الأنعام [وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ] [الأنعام:٧٠] فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {أن تبسل} قال: تفضح. وفي قوله {أبسلوا} قال: فضحوا. وعنه في قوله {أن تبسل} قال: تسلم، وفي قوله {أبسلوا بما كسبوا} قال: أسلموا بجرائرهم.

وسأله نافع بن الأزرق : فقال له: أخبرني عن قوله عز وجل (أن تبسل نفس) ؟ قال: يعني أن تحبس نفسه بما كسبت في النار.

وعن قتادة في قوله {أن تبسل نفس} قال: تؤخذ فتحبس.

فكل هذه المعاني الرهن والحبس والفضيحة متلازمة لا تناقض بينها .

ومن الأمثلة أيضا :اختلافهم في معنى قوله تعالى في سورة الروم { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ {١٥} } ...فعن الضحاك رضي الله عنه قال {في روضة يحبرون}: في جنة يكرمون.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال {يحبرون} : يكرمون.

وعن مجاهد رضي الله عنه قال: ينعمون.

وعن يحيي بن أبي كثير قال: {في روضة يحبرون} أي لذة السماع في الجنة.

وعن الأوزاعي قال {في روضة يحبرون} هو السماع).

وكل هذه المعاني بيان لما هم فيه من السعادة والحبور والتنعم فكلها تدور حول معنى واحد وكلها متنوعة لا تناقض بينها حيث يسهل الجمع بينها.

ومثال ذلك أيضا : تفسيرهم للصراط المستقيم فقال بعضهم: " وفي المراد بالصراط هاهنا أربعة أقوال أحدها : أنه كتاب الله روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا .

والثاني أنه دين الإسلام قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن و أبو العالية .

والثالث أنه الطريق الهادي إلي دين الله رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال مجاهد .

والرابع أنه طريق الجنة نقل عن ابن عباس أيضا ."

ولا تعارض بين هذه المعاني فكلها تدور في فلك واحد ؛ فالصراط المستقيم هو طريق الإسلام والكتاب هو المنهاج له وهو طريق الهدى والفوز بالجنة .

أو أن يفسر بعضهم المعنى ببيان بعض ما يندرج تحته من أنواع ، أو يفسره بذكر مثال له :

من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى في سورة النساء { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَي النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَي بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ } عن قتادة :{فالصالحات قانتات} أي مطيعات لله ولأزواجهن {حافظات للغيب} قال: حافظات لما استودعهن الله من حقه، وحافظات لغيب أزواجهن.

وعن مجاهد {حافظات للغيب} لـلأزواج ، وعن السدي {حافظات للغيب بما حفظ الله} يقول تحفظ على زوجها ماله وفرجها حتى يرجع كما أمرها الله ، وعن السدي قال: حافظات لأزواجهن في أنفسهن بما استحفظهن الله ، وعن مقاتل قال: حافظات لفروجهن لغيب أزواجهن، حافظات بحفظ الله لا يخنّ أزواجهن بالغيب ، وعن عطاء قال: حافظات للأزواج بما حفظ الله يقول: حفظهن الله، وعن مجاهد {حافظات للغيب} قال: يحفظن علي أزواجهن ما غابوا عنهن من شأنهن.

ولا شك أن الحفظ هنا ليس قاصرا علي حفظ المال وحده أو حفظ الفرج ، ولكنه يشمل حفظ الأزواج في غيابهم ، وحفظهم من باب أولى في حضورهم ، وحفظ الأسرار الزوجية ، وحفظ الأولاد بحسن التربية وغير ذلك .

*قاعدة مهمة : إذا دارت الأقوال حول معنى واحد فإنه يجمع بينها وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "الأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه ...فإنَّ نقل الخلاف في مسألة لا خلاف فيها في الحقيقة خطأ كما أن نقل الوفاق في موضع الخلاف لا يصح " .

ثانياً: الاختلاف في عودة الضمير :

وذلك أيضا من أسباب اختلاف المفسرين ومثاله : ما ورد في تفسير قوله تعالى [وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] [سورة يوسف:٢٣]، روى الطبري في تفسيره عن السدي وعن ابن أبي نجيح: وابن إسحاق وعن مجاهد: {قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي} قال: سيدي. يعني: زوج المرأة.

وقال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط " والضمير في (إنه ربي) الأصح أن يعود إلى الله تعالى ، أي إن الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب وأقامني في أحسن مقام٠٠٠ ".

والذي رجحه العلماء هو : أن الضمير عائد إلى لفظ الجلالة ، كما ذكر ذلك أبو حيان وغيره وذلك لأن مراعاة يوسف – عليه السلام – لحقوق الله تعالى وصونه لنعمه : يتضمن مراعاة حقوق العباد، وقوله تعالى { إنه لا يفلح الظالمون } : الذين يسلبون حقوق الآخرين ، ويفرطون في العهود، ويخونون الأمانات وينتهكون الحرمات ومراعاة حق الله عز وجل مقدم على مراعاة حق العباد.